ما هذه المفاهيم؟! (١)

فيصل العلياوى

(دانش‌آموخته حوزه و كارشناسى ارشد فقه و اصول)

تمهيد

بين الحين والآخر يخرج من علماء الجمهور من يصدح بالحق ويبيّن أباطيل مذاهبهم والبدع التي عليها القوم، ومن أولئك الذين رفضوا مبدعات الامور وقالوا كلمة الحق الدكتور محمد علوي المالكي الحسني في كتابه الموسوم بـ(**مفاهيم يجب أن تصحح**) وقد قام بذكر مفاهيم تسالم عليها الخاصة والعامة وأنكرها الوهابية، وقد تحدّثنا في العدد السابق لهذه المجلة عن هذا الكتاب بما يغنينا عن التكرار هنا، ولكن الكلام هو عمن رد عليه وقال: (**هذه مفاهيمنا**)، وهذا الكتاب احتوى على مقدّمة ذكر فيها المؤلف تعريف للعبادة حيث قال: «إنّها الذل والخضوع والاستكانة في اللغة»، وقد رتبها على ستة أبواب وهي كالآتي:

الباب الأوّل *(وقد تحدّث فيه عن تعريف الوسيلة)*، ورد كلام العلوي المالكي في التوسل في ص٤٨ و تحدّث عن حديث قبر فاطمة بنت أسد، وتوسل النبيﷺ بمن قبله، وردّ على مصنّف كتاب مفاهيم يجب أن تصحح إلى غير ذلك من الأمور التي تتعلق بالتوسل حيث أنكر جميع الأحاديث التي استدل بها العلوي المالكي.

وأمّا **الباب الثاني**: فقد تحدّث فيه عن الشرك في قوم نوح *(ص٨٠)*، و الشرك في قوم إبراهيم*(ص٨٢)*، و الشرك في العرب*(ص٨٥)*، ودخول الشرك لهذه الأُمّة عن طريق الباطنيين*(ص٨٥)*، ثم تحدّث في *(ص٩٢)* عن توحيد الربوبية والألوهيّة، والفرق بينهما، وإقرار المشركين بالأوّل دون الثاني، وذكر دلائل ذلك من القرآن و السنّة.

ثمّ تحدّث عن مسألة *(المجاز العقلي)*، وقام برد احتجاج العلوي المالكي به في تجويز الشرك الأكبر.

و أمّا الباب الثالث: فقد تحدّث عن معنى الشفاعة لغة، وما ورد في القرآن من الشفاعة المنفية والمثبتة*(ص١١١)*، وقال: إنّ الأنبياء ليس لهم حقّ على الله في أن يجيب كلّ ما دعوا، وذكر له دلائله*(ص١١٤)*، وتحدّث في *(ص١١٨)* عن شفاعة النبي محمّدﷺ وأنكرها كما هو الثاتب في مفاهيم الوهابية ورد على العلوي المالكي قوله بالشفاعة.

و أمّا الباب الربع: فقد تحدّث عن التكفير وذهب إلى تكفير ما سماهم بعباد القبور*(ص١٥٥)*.

أمّا الباب الخامس: فقد عقده للحديث عن التبرك وتحدّث عن المعنى اللغوي لـ(التبرك)، والآيات في ذلك*(ص١٧٣)*، وذهب إلى أنّ البركة لله، لا يجوز أن تطلب من غيره، وفي *(ص١٧٥)* قسّم البركة إلى قسمين وتحدّث عن التبرك بالنبي والصالحين وعدم جواز ذلك في *(١٧٧-١٧٩)*، ثم ختم هذا الباب في الحديث عن معنى الانتساب إلى السلف*(ص١٨٦)*.

و أمّا الباب السادس: فقد تحدّث فيه عن عقيدة الدكتور العلوي المالكي التي ذكرها في كتاب مفاهيم يجب أن تصحح حيث قال: إنّ الرسولﷺ لا تصيبه الأمراض، إلّا ما لايوجب التنقيص من خفيف المرض، ورد عليه*(ص١٩٣)*، ثم ختم كتابه بخاتمة *(ص٢٠٧)*. ونحن لما نظرنا إلى كثرة المطالب في هذا الكتاب وعدم إمكان

الرد عليها في مقالة واحدة عقدنا لكل باب من الأبواب المذكورة ردّاً على حده حسب الترتيب المذكور في المصنّف (هذه مفاهيمنا)، فيالها من مفاهيم وتباً لها، ولما يفتخرون به،و لهذا نحاول في هذه المقالة أن نسلط الضوء على الباب الأوّل وهو باب التوسل، فنقول وبالله المستعان والتوفيق:

بعد أن اعترض الشيخ صالح بن عبد العزيز صاحب كتاب (**هذه مفاهيمنا**) على تعريف الوسيلة قال: كلامه *(أي صاحب كتاب مفاهيم يجب أن تصحح)* حوى جملتين.

الأولى: من الحق.

والثانية: فيها إجمال به يتوصل إلى ما نهى الله عنه، ولم يجعله وسيلة.

فقوله: *(والمدار فيها..الخ)* **!** مجمل يمكن تفسيره على أحد وجهين:

الأول: أن يدخل في ذلك ذوات الأنبياء والصالحين باعتبار أنّ لهم من المنزلة والزلفى عند الله ما يجل عن الوصف.

فإن كان هذا معنياً، فالله سبحانه وتعالى لم يجعل ذوات الأنبياء والصالحين أو جاههم أو حرمتهم وسيلة إليه ولا سببا للزلفى لديه.

الثاني: أن تكون الوسائل من الأعمال ونحوها مشروعة، لم تتبع فيها سبل المبتدعة، وإنّما اتبع فيها السنّة، وهذا حق[1].

وقال في تعريف الوسيلة هي: التقرب إلى الله بأنواع القرب والطاعات، وأعلاها إخلاص الدين له، والتقرب إليه بمحبّته ومحبّة رسوله ومحبّة دينه ومحبّة من شرع حبّه، بهذا يجمع ما قاله السلف، وقولهم من اختلاف التنوع[2].

وقال في موضع آخر: واتخاذ الوسائط من دون الله من أصول كفر الكفار كما

(١). *هذه مفاهيمنا*، ص٩.

(٢). *هذه مفاهيمنا*، ص١٠.

صرح به تعالى في قوله عنهم: «**مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللهِ زُلْفَى**»[1].

إلى غير ما ذكر في الباب الأوّل من كتابه المشؤوم الذي ألّفه ردّاً على من صدح بالحق منهم، فراجع الكتاب لترى الأدلة الواهية والتخريجات الغريبة التي قام بها، ولكن نحاول في هذه المقالة الرد على ما كتبه الكاتب ونقد هذه المفاهيم الخاطئة:

أولاً: تعريف الوسيلة

لغة: التوسّل من وسلت إلى ربّي وسيلة: عملتُ عملاً أتقرّبُ به إليه، وتوسّلت إلى فلان بكتاب أو قرابة، أي تقربتُ به إليه[2].

وقال الجوهري في الصحاح: الوسيلة ما يتقرّب به إلى الغير والجمع: الوُسُل والوسائل[3].

اصطلاحاً: والمقصود منه في المقام، هو أن يقدِّم العبدُ إلى ربّه شيئاً، ليكون وسيلةً إلى الله تعالى لأن يتقبّل دعاءه ويجيبه إلى ما دعا، وينالَ مطلوبه، مثلاً إذا ذكر الله سبحانه بأسمائه الحسنى وصفاته العليا ومجّده وقدّسه وعظّمه، ثم دعا بما بدا له، فقد اتّخذ أسماءه وسيلة لاستجابة دعائه ونيل مطلوبه، ومثله سائر التوسّلات، والتوسّل بالأسباب في الحياة، أمر فطري للإنسان، فهو لم يزل يدق بابها ليصلَ إلى مسبباتها، وقال الإمام الصادق عليه السلام: **أبى الله أن تجري الأشياء إلاّ بأسباب فجعل لكل شيء سبباً**[4].[5]

إنّ الوسيلة إذا كانت وسيلة عادية للشيء وسبباً طبيعياً له، فلا يشترط فيها إلاّ وجود الصلة العادية بين الوسيلة والمتوسّل إليه، فمن يريد الشبع فعليه الأكل فلا

١. *سورة الزمر*، الآية٣.
٢. *ترتيب المعين*، مادة «وسل».
٣. *الصحاح*، ج٥، مادة «وسل».
٤. *الكافي*، ج١، ص١٨٣.
٥. التوسل، ص١٩.

يُريحه شربُ الماء، إذ لا صلة بين شرب الماء، وسدِّ الجوع، فالعقلاء في حياتهم الدنيوية ينتهجون ذلك المنهج بوازع فطري، أو بعامل تجريبي، نرى أنّ ذا القرنين عندما دُعي إلى دفع شرّ يأجوج ومأجوج الّذين كانوا يأتون من وراء الجبل ويفسدون ويقتلون ويغيرون، لبّى دعوتهم وتمسك بالسبب الطبيعي القويم الذي يدفع به شرّهم فخاطبهم بقوله: «**آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً * فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْباً**».[1]

ففي هذا الموقف العصيب توسّل ذو القرنين ـ ذلك الإنسان الإلهي ـ بسبب طبيعي إذ أنّه وقف على الصلة بين الوسيلة وما يهدف إليها، وهو سدّ الوديان بِقِطَعِ الحديد حتى إذا سوى بين الجبلين أمر الحدّادين أن ينفخوا في نار الحديد التي أُوقدت فيه حتى جعله ناراً، وعند ذلك قال: ائتوني نحاساً مذاباً أو صفراً مذاباً، حتى أصبَّه على السد بين الجبلين وينسد بذلك النقب ويصير جداراً مصمتاً، فكانت حجارته الحديد وطينه النحاس الذائب[2].

ثانياً: تعريف العبادة

لقد عرفت العبادة بتعريفين ذكرهما اهل اللغة وكلاهما ناقص وهما:

اولا: العبادة الخضوع والتذلل وهذا التعريف لا يعكس معنى العبادة بصورة دقيقة وذلك لان العبادة اذا كانت مرادفة في المعنى للخضوع والتذلل، فلا يمكن ان نعتبر أي انسان موحداً لله؛ لان البشر بفطرته يخضع لمن يتفوق عليه معنوياً أو مادياً، اضف الى ذلك ان القران الكريم يامر الانسان بان يتذلل لوالدية فيقول: «**وَاخْفِضْ لَهُمَا**

١. الكهف، آلايه٩٦ ـ ٩٧.
٢. التوسل، ص٢٠.

جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيراً»[1]. فاذا كان الخضوع والتذلل معناه عبادة من تذللت له، فهذا يستلزم الحكم بكفر من يبرّ والديه، كما انه يستلزم الحكم بتوحيد من يعقّ والديه[2].

ثانياً: نهاية الخضوع بين يدي من تُدرك عظمته وكماله، وهذا التعريف لا يختلف عن سابقه من حيث النقص والاشكال الوارد عليه:

اولاً: لان الله أمر الملائكة بالسجود لادم فيقول عزّ وجل:«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ»[3]. فاذا كان معنى العبادة هو ما ذكره فان ذلك يستلزم القول بكفر الملائكة الممتثلين لامر الله بالسجود، وايمان الشيطان المخالف لامر الله بعدم السجود.

ثانياً: ان اخوة النبي يوسف عليه السلام ووالديه سجدوا جميعاً ليوسف كما يحدثنا القران الكريم قال تعالى: «وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَـذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً»[4]، فهل اعتبر احد من المسلمين ام المفسرين لهذه الآية سجود ابوي يوسف واخوته وفيهم من كان بني مشرك؟؟

ثالثاً: ان كل المسلمين اقتداءً برسول الله صلى الله عليه وآله يقبلون الحجر الاسود المستقر في زاوية الكعبة المشرفة ويتبركون به، ونفس هذا العمل كان يقوم به عبّاد الاصنام تجاه اصنامهم، مع العلم ان عملهم شرك بينما عمل المسلمين توحيد قطعاً[5].

اذا معنى العبادة ليس ما ذهب اليه صاحب الكتاب في مقدمته بل لها معنى اخر بعيد عن مفاهيمهم التي يفتخرون بها، وان كان ما ذكروه يعتبر من اركان العبادة.

---

١. الإسراء، آلايه ٢٤.
٢. أُنظر: الوهابية في الميزان، ص ١٨٠.
٣. البقرة، آلايه ٣٤.
٤. يوسف، آلايه ١٠٠.
٥. نُظر: الوهابية في الميزان، ص ١٨١.

اما المعنى الحقيقي للعبادة فهي تتكون من عنصرين:

١- الخضوع والتذلل

٢- الاعتقاد الخاص

وهذا الاعتقاد الخاص هو الذي يحسم الموقف ويفصل القضية فالخضوع اذا كان مقروناً بهذا الاعتقاد فهو عبادة وهذا الاعتقاد الخاص هو الذي يصبغ العمل بصيغة العبادة، وبدونه لا تتحقق العبادة حتى لو كانت بمظهرها.

وعلى هذا يكون التعريف الحقيقي للعبادة هو: الخضوع نحو الشي، باعتبار أنّه إله أو ربّ.

وبعبارة اخرى: هي نصب العبد نفسه في مقام المملوكية لربه و لذلك كانت العبادة منافية للاستكبار و غير منافية للاشتراك[١] وقد ورد في الحديث عن ابي بصير عن ابي عبدالله في قوله: *(واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا)* يوم القيامة اي يكونون هؤلاء الذين اتخذوهم آلهة من دون الله عليهم ضدا ويوم القيامة ويتبرؤن منهم وعن عبادتهم إلى يوم القيامة ثم قال: ليست العبادة هي السجود ولا الركوع وانما هي طاعة الرجال، من اطاع مخلوقا في معصية الخالق فقد عبده.[٢]

ثالثاً: التوسل عند المسلمين

اعلم أن التوسل عند المسلمين من الأمور المسلمة لأنها وردت كنص في القران الكريم قال تعالى:«**وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ**» إلا أنه وقع الخلاف في المصداق، فذهب جُل المسلمين إلى أن الوسيلة هي الأعمال الصالحة، والتي منها التقرب والتوسل إلى الله بالذوات الطاهرة للأنبياء والأولياء، وذهب بعض متعصبي السلفية إلى القول بان الوسيلة هي التوسل بالطاعات، والعمل الصالح فقط، وغير ذلك يُعد شرك بالله، كما

١. الميزان في تفسير القرآن،ج١، ص١٢.

٢. وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٤٧.

ذهب إلى هذا القول صاحب الكتاب الذي نحن بصدد نقده والرد عليه، أما البعض الآخر من السلفية كصاحب كتاب مفاهيم يجب أن تصحح فقد ذهب إلى أن الخلاف شكلي، وليس بجوهري؛لأن التوسل بالذوات يرجع في الحقيقة إلى توسل الإنسان بعمله، وهو المتفق على جوازه[1].

ولتحقيق القول في المسألة نعرض آراء علماء المسلمين في التوسل لتعرف من خلال ذلك تفاهة مفاهيمهم وبُعدها عن الدين الحنيف.

رابعاً: آراء علماء الأمامية

إن المسلم به والمتفق عليه عند الإمامية هو جواز التوسل بالنبيﷺ والأئمة الأطهار من أهل بيتهعليهم السلام، بل بجميع الأولياء والصديقين والشهداء لما ورد عن أهل بيت العصمة من الأخبار الدالة على الجواز. قال رسول اللهﷺ: من أراد التوسل إلي، وأن يكون له عندي يد أشفع له بها يوم القيامة، فليصل أهل بيتي، ويدخل السرور عليهم[2].

وعن بعض أصحابنا، عن داود الرقي قال: إني كنت أسمع أبا عبد اللهعليه السلام أكثر ما يلح في الدعاء على الله بحق الخمسة، يعني رسول الله، وأمير المؤمنين، وفاطمة، والحسن، والحسينعليهم السلام.[3]

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: سألت النبيﷺ، عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه؟ قال: سأله بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين الا تبت علي، فتاب عليه[4].

وصفوة القول أن التوسل والخضوع والتواضع أمام العتبات المقدسة التي يضم

١. مفاهيم يجب أن تصحح، ص٤٤.
٢. الأمالي الشيخ الصدوق، ص٤٦٢. أمالي الطوسي،ص ٤٢٣-٩٤٧.
٣. وسائل الشيعة (طبع)،ج٧، ص٩٧-٩٨.
٤. المصدرالسابق، (طبع)، ج٧، ص٩٩.

ثراها نبياً أو معصوماً أو ولياً من الصالحين، هو في حقيقته توسل وخضوع وتواضع للخالق تبارك وتعالى، وليسوا هم إلا وسيلة كالصلاة والصوم وبقية العبادات والطاعات التي يتوسل بها إليه تعالى[1].

والحاصل أنه قد ثبت بالأخبار المستفيضة أنهم الوسائل بين الخلق وبين الحق في إفاضة جميع الرحمات والعلوم والكمالات على جميع الخلق، فكلما يكون التوسل بهم والاذعان بفضلهم أكثر كان فيضان الكمالات من الله أكثر[2].

خامساً: آراء علماء الجمهور

وقد بسط القول في التوسل جمع لا يستهان بعدتهم علماء الجمهور منهم:

١ – الحافظ ابن الجوزي المتوفى ٥٩٧ في كتاب *(الوفاء في فضائل المصطفى)* جعل فيه بابين في المقام: باب التوسل بالنبي. وباب الاستشفاء بقبره.

٢ – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن النعمان المالكي المتوفى٦٧٣ في كتابه *(مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام)* قال الخالدي في صلح الأخوان: هو كتاب نفيس نحو عشرين كراسا. وينقل عنه كثيرا السيد نور الدين السمهودي في"وفاء الوفاء" في الجزء الثاني في باب التوسل بالنبي الطاهر.

٣ – ابن داود المالكي الشاذلي. ذكر في كتابه*(البيان والاختصار)* شيئا كثيرا مما وقع للعلماء والصلحاء من الشدائد فالتجؤا إلى النبيﷺ فحصل لهم الفرج.

٤ – تقي الدين السبكي المتوفى٧٥٦ في"شفاء السقام" ص١٢٠ – ١٣٣.

٥ – السيد نور الدين السمهودي المتوفى٩١١ في"وفاء الوفاء"ج٢ ص٤١٩ – ٤٣١.

٦ – الحافظ أبو العباس القسطلاني المتوفى٩٢٣ في"المواهب اللدنية ".

---

١. المزار،ص٣.

٢. بحار الأنوار،ج١، ص١٠٣.

٧ – أبو عبد الله الزرقاني المصري المالكي المتوفى١١٢٢، في شرح المواهب٨ ص ٣١٧ .

٨ – الخالدي البغدادي المتوفى١٢٩٩ في *(صلح الأخوان)* وهو أحسن ما ألف في الموضوع فقد جمع شوارده في سبعين صحيفة، وأفرد فيه رسالة ردا على كلمة السيد محمود الآلوسي في التوسل بالنبيﷺ طبعت في عشرين صحيفة بمطبعة "نخبة الأخبار " سنة ١٣٠٦ .

٩ – العدوي الحمزاوي المتوفى١٣٠٣ في" كنز المطالب" ص.١٩٨

١٠ – العزامي الشافعي القضاعي في*(فرقان القرآن)* المطبوع مع *(الأسماء والصفات)* للبيهقي في١٤٠ صحيفة وهو كتاب قيم أدى للكلام حقه.

وافتى الحطاب الرعيني وغيره بالجواز أيضاً حيث قال: والقسم أن يقول: أقسمت عليك بنبيك محمدﷺ أو أقسم عليك به كما في الحديث الذي ذكره، أما التوسل فالظاهر أنه جائز والله أعلم[١] .

وقال ابن عابدين الحنفي: وقال السبكي: يحسن التوسل بالنبي إلى ربه، ولم ينكره أحد من السلف ولا الخلف، إلا ابن تيمية فابتدع ما لم يقله عالم قبله[٢] .

وقد استدل الشوكاني على الجواز في نيل الأوطار قائلاً: وذلك لأن الله تعالى لما كان في نهاية الكمال، ونحن في نهاية النقصان، لم يكن لنا استعداد لقبول الفيض الإلهي، لتعلقنا بالعلائق البشرية، والعوائق البدنية، وتدنسنا بأدناس اللذات الحسية، والشهوات الجسمية.

وكونه تعالى في غاية التجرد ونهاية التقدس، فاحتجنا في قبول الفيض منه جل وعلا إلى واسطة له وجه تجرد، ونوع تعلق، فبوجه التجرد يستفيض من الحق، وبوجه

١. *مواهب الجليل*،ج٤،ص ٤٠٦.

٢. *حاشية رد المحتار*، ج٦، ص٧١٦.

التعلق يفيض علينا، وهذه الواسطة هم الأنبياء، وأعظمهم رتبة وأرفعهم منزلة نبينا ﷺ فذكر عقب ذكره جل جلاله تشريفا لشأنه مع الامتثال لأمر الله سبحانه[1].

وقد نص الحنابلة في مصنفاتهم الفقهية على استحباب التوسل برسول الله ﷺ ونقلوا ذلك عن الإمام أحمد أنه استحبه كما في كتاب الإنصاف فيما ترجح من الخلاف(٢/ ٤٥٦) وغيره، ونقل ابن كثير في البداية(١٤/ ٤٥) أن ابن تيمية أقر أخيرا في المجلس الذي عقده له العلماء بالتوسل، وأصر على إنكار الاستغاثة.

واعتمد الإمام الحافظ النووي استحباب التوسل والاستغاثة في مصنفاته كما في حاشية الإيضاح على المناسك له(صفحة ٤٥٠) و(صفحة ٤٩٨) من طبعة أخرى وفي شرح المهذب المجموع(٨/ ٢٧٤) وفي الأذكار (صفحة٣٠٧) من طبعة دار الفكر في كتاب أذكار الحج و(صفحة١٨٤) من طبعة المكتبة العلمية، وهو مذهب الشافعية وغيرهم من أئمة الجمهور المجمع على جلالتهم وثقتهم عندهم، وإني أود أن أسرد بعض الأدلة من الأحاديث الصحيحة الثابتة عند علماء الجمهور وأئمة الحفاظ والمحدثين عندهم، والتي لم تضرها محاولة تلاعب المتلاعبين في الطعن في أسانيدها كما فعل صاحب كتاب هذه مفاهيمنا.

ولا يُعرف الحق كما هو معلوم بالجعجعة وكثرة الكلام ونفخ الكتب بتكثير عدد الصفحات وإنما يعرف الحق بالبراهين العلمية، والأدلة الواضحة الجلية، وإن كانت قليلة العبارات، فهي كثرة التعبيرات والإشارات.

سادساً: أدلة التوسل من كتب الجمهور.

(١) حديث الشفاعة المتواتر والمروي في الصحيحين وغيرهما من أن الناس يتوسلون بسيد الأنام عند اشتداد الأمر عليهم يوم القيامة ويستغيثون به فقد روى

[1]. *نيل الأوطار*، ج١، ص٨. وقد نقل المباركفوري كلام أخر للشوكاني فراجع *تحفة الأحوذي*، ج١٠، ص٢٦-٢٧.

البخاري عن سيد الانام محمد انه قال:" إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم في بعض فيأتون آدم فيقولون: اشفع لنا إلى ربك.

فيقول: لست لها ولكن عليكم بإبراهيم فإنه خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها ولكن عليكم بموسى فإنه كليم الله، فيأتون موسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بعيسى فإنه روح الله وكلمته، فيأتون عيسى فيقول: لست لها ولكن عليكم بمحمدﷺ، فيأتوني فأقول: انا لها فاستأذن على ربي فيؤذن لي، ويلهمني محامد أحمده بها لا تحضرني الآن فأحمده بتلك المحامد واخر له ساجدا فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع. فأقول: يا رب أمتي أمتي.

فيقال: انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال شعيرة من ايمان.

فأنطلق فافعل ثمّ أعود فأحمده بتلك المحامد، ثمّ اخر له ساجدا. فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع.

فأقول: يا رب أمتي أمتي فيقال انطلق فأخرج منها من كان في قلبه مثقال ذرة أو خردلة من ايمان.

فأنطلق فأفعل ثم أعود فأحمده بتلك المحامد، ثمّ اخر له ساجدا، فيقال: يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل تعط واشفع تشفع.

فأقول يا رب أمتي أمتي. فيقول: انطلق فأخرج من كان في قلبه أدنى أدنى مثقال حبة من خردل من ايمان فأخرجه من النار، فانطلق فأفعل."[1]، فلو كان التوسل والاستغاثة من الكفر والشرك لِمَ يشفع النبيﷺ للناس يؤمئذ، ولا يأذن الله له بالشفاعة للمشركين والكفار على زعم من يكفر عباد الله بالآلاف، ويحاول تهييج العامة والسذج على من أظهر كفر من قال بقدم العالم المجمع على كفر قائله ومعتقده، وأيضا لو كان التوسل شركا أو

[1]. صحيح البخاري، ج٨، ص٢٠١–٢٠٢، صحيح مسلم، ج١، ص١٢٦.

كفرا لبينه رسول اللهﷺ عندما أخبر أصحابه بحديث الشفاعة.

فلما لم يكن كفرا بنص الأحاديث المتواترة كان امرأ مندوبا إليه في الدنيا والآخرة لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

ومن قال: إن التوسل والاستغاثة كفر في الدنيا ليس كفرا في الآخرة.

قلنا له: إن الكفر كفر سواء كان في الدنيا أو في الآخرة، قبل موتهﷺوبعد موته لا فرق. وإن ادعيت الفرق فأت لنا بدليل شرعي مخصص مقبول معتبر.

(٢) حديث الصحابي الجليل عثمان بن حنيفرضي الله عنه قال: إن رجلا ضريرا أتى النبيﷺ فقال ادع الله أن يعافيني فقال: إن شئت دعوت وإن شئت صبرت وهو خير قال فادعه. فأمره أن يتوضأ ويحسن الوضوء ويدعو بهذا الدعاء: اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي في حاجتي لتقضى- اللهم شفعه في. قال سيدنا عثمان: فعاد وقد أبصر- رواه احمد بن حنبل[١] و الترمذي[٢] والنسائي[٣]، وابن خزيمة[٤] والحاكم[٥] وأقره الذهبي[٦] بالأسانيد الصحيحة.

(٣) حديث الإمام عليعليه السلام: أن النبيﷺ لما دفن فاطمة بنت أسدعليها السلام أم الإمام عليعليه السلام قال: اللهم بحقي وحق الأنبياء من قبلي اغفر لأمي بعد أمي "رواه الطبراني والحاكم مختصرا وابن حبان وغيرهم، وفي إسناده روح بن صلاح قال الحاكم ثقة وضعفه بعضهم والحديث صحيح[٧].

١. مسند احمد، ج٤، ص١٣٨.
٢. سنن الترمذي، ج٥، ص٢٢٩.
٣. السنن الكبرى، ج٦، ص١٦٩.
٤. صحيح ابن خزيمة، ج٢، ص٢٢٦.
٥. المستدرك، ج١، ص٣١٣.
٦. تاريخ الإسلام، ج١، ص٣٦٥، وقد ذكره غيرهم أمثال: الجامع الصغير، ج١، ص٢٢٧، العهود المحمدية، ١١٢، كنز العمال، ج٢، ص١٨١.
٧. إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي (ص) –الحافظ، ص٥.

(٤) وروى البخاري في صحيحه:"أن عمر استسقى عام الرمادة بالعباس عم النبيﷺ ومن قوله توسلا به: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبيناﷺ وإنا نتوسل إليك بعم نبينا قال فيسقون[١].

قال الحافظ ابن الصديق المغربي: وفي الحديث إثبات التوسل بهﷺ وبيان جواز التوسل بغيره كالصالحين من آل البيتعليهم السلام ومن غيرهم[٢].

ثم يقول: وفي هذه الأدلة بيان لمن ألقى السمع وهو شهيد، هذا إذا كان قلبه نظيفا لا يحب رمى عباد الله بالشرك بمجرد مخالفتهم لمزاجه وأراد اقتفاء النبيﷺ.[٣]

(٥) ما ذكره الحافظ ابن حجر العسقلاني حيث قال: روى ابن أبي شيبة بإسناد صحيح عن أبي صالح السمان عن مالك الدار وكان خازن عمر قال: أصاب الناس قحط شديد في زمن عمر فجاء رجل إلى قبر النبيﷺ فقال: يا رسول الله استسق لأمتك فإنهم قد هلكوا، فأتي الرجل في المنام فقيل له: ائت عمر واقرئه السلام، وأخبره أنهم يسقون[٤].

قال الحافظ ابن الصديق المغربي: إسناده صحيح وقد ضعف هذا الأثر الصحيح الألباني بحجج أوهى من بيت العنكبوت في توسله *(ص١١٩ - ١٢١)* وزعم أن مالك الدار مجهول. ونقل ترجمته من كتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم فقط ليوهم قراءه أنه لم يرو عنه إلا رجل واحد وهو أبو صالح السمان، وقد تقرر عند الألباني بما ينقله عن بعض العلماء من غير المتفق عليه، أن الرجل يبقى مجهولا حتى يروي عنه اثنان فأكثر. ثمّ قال لينصر هواه إن المنذري والهيثمي لم يعرفا مالك الدار فهو مجهول، ولا يصح السند لوجود مجهول فيه ثم

١. *صحيح البخاري*، ج٢، ص١٦.
٢. *المصدر السابق*.
٣. *المصدر السابق*، *ص٧*.
٤. *فتح الباري*، ج٢، ص٤٩٥. وصححه أيضا ابن كثير في البداية والنهاية، ج ٧، ص ٩٢ من طريق البيهقي.

تبجح قائلا: وهذا علم دقيق لا يعرفه إلا من مارس هذه الصناعة[1].

و هؤلاء القوم حرفوا السنة المحمدية، وابتدعوا في الدين أموراً توافق أهوائهم، وما يختلج في قلوبهم من أمراض وأحقاد، واليك هذا المثال: حديث سد الأبواب حيث أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بسد الأبواب الشارعة في المسجد وترك باب علي عليه السلام، والحديث صحيح، وقد أخطأ ابن الجوزي بذكره في الموضوعات. ورد عليه الحافظ[2].

وابن تيمية لانحرافه عن علي عليه السلام كما هو معلوم. لم يكفه حكم ابن الجوزي. بوضعه فزاد من كيسه حكاية اتفاق المحدثين على وضعه، وأمثلة رده للأحاديث التي يردها لمخالفة رأيه كثيرة يعسر تتبعها.

وقد ذهب رئيس مذهبهم الشيخ الألباني وغيرهم من السلف الطالح المبتدع، فإذا رأوا حديثا أو أثرا لا يوافق هواهم فإنهم يسعون في تضعيفه بأسلوب فيه تدليس وغش، ليوهم قراءه أنهم مصيبون كما فعل صاحب كتاب هذه مفاهيمنا، مع أنه مخطئ بل خاطئ غاش.

فمن الأمور التي حاولوا التدليس بها وإنكارها التوسل بالنبي صلى الله عليه وآله مع ما هو ثابت في كتب الجمهور فقد روى البيهقي في دلائل النبوة[3] من طريق يعقوب بن سفيان حدثنا أحمد بن شبيب بن سعيد[4] ثنا أبي عن روح بن القاسم[5] عن أبي جعفر الخطمي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف أن رجلا كان يختلف إلى عثمان بن عفان، فذكر القصة بتمامها. ويعقوب بن سفيان هو الفسوي الحافظ الإمام

١. *إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي* صلى الله عليه وآله، ص١٨.
٢. *القول المسدد*، ص٢٣.
٣. *أنظر: دلائل النبوة*، ج٦، ص ١٦٦ – ١٦٨.
٤. أحمد بن شبيب قال الذهبي في *الميزان*، ج١، ص ١٠٣ – ١٠٤؛ صدوق، ثم نقل عن الأزدي أنّه قال منكر الحديث، ثم رد عليه وقال: قلت: قد وثقه أبو حاتم وهو من رجال البخاري كما في الجمع، ج١، ص١٠ – ١٨.
٥. قال الحافظ في *التقريب* (١٩٧٠ طبعة محمد عوامة): ثقة حافظ من رجال صحيح البخاري، ج٢، ص١٢٥، وصحيح مسلم، ج١، ص١٥٦. و*سنن النسائي*، ج١، ص٩٧. و*سنن ابن ماجة*، ج١، ص١٥٦.

الثقة، بل هو فوق الثقة عندهم[1]، وهذا إسناد صحيح. فالقصة صحيحة جدا، وقد وافق على تصحيحها أيضا الحافظ المنذري[2] والحافظ الهيثمي[3].

ورغم ما قدمنا من أدلة على جواز التوسل عند الإمامية وعلماء الجمهور، ممن لم يركن إلى حقده على الدين كالسلفية والوهابية، نجد أمثال الألباني ومن تبعه كصاحب الكتاب الذي نحن بصدد نقده والرد عليه، ينهجون منهج شيخ الإسلام الأموي ابن تيمية، في تحريف الدين، وإدخال البدع فيه، والتدليس على العوام.

فها هو يقول في كتابه (**هذه مفاهيمنا**) والذي كتبه ردا على كتاب (**مفاهيم يجب ان تصحح**): ومسألة التوسل بالذوات، وكذا التوسل بأعمال من انقضى- سعيهم كيف ينقضي سعيهم فهل الموت عند الوهابية هو نعدام الانسان الم يقرأوا في القرآن الكريم قوله تعالى: «**وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ**»[4]، وهي تدل على حياة الشهداء ايعقل ان يكون النبي صلى الله عليه وآله اقل مرتبة من الشهيد؟ لم يقل الرسول صلى الله عليه وآله «**قَالَ إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلاَّ مِنْ ثَلاَثٍ صَدَقَةٌ جَارِيَةٌ وَعِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ وَوَلَدٌ صَالِحٌ يَدْعُو لَهُ**»[5]. **قَالَ أَبُو عِيسَى هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ**[6]، فهل هذه الرسالة الخالدة والاعمال الرائدة التي قام بها سيد الانام لا تعتبر عند الوهابية اخزاهم الله صدقة جارية؟ وهل السيدة الزهراء عليها السلام لا تعد ولداً صالحاً؟

ثمّ يقول: لا خلاف عند السلف من الصحابة والتابعين أنها *(اي مسألة التوسل)* ليست من الدين، ولا هي سائغة في الدعاء. وبرهان ذلك أنه لم ينقل عن واحد منهم

١. *تهذيب الكمال*، ج٣٢، ص٣٣٣و٣٣٤. *والكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة*، ج٢، ص٣٩٤.
٢. *الترغيب*، ج١، ص٤٧٦.
٣. *مجمع الزوائد*، ج٢، ص٢٧٩.
٤. *آل عمران*، آلايه١٦٩.
٥. *البحار*، ج٢، ص٢٢ و*صحيح ابن حبان*، ج١٣، ص٢٧، و*الموطأ*، ج٢، ص٣٩٩.
٦. *سنن الترمذي*، باب الوقف، ج٥، ص٣٨٩.

بنقل صحيح مصدق أنه توسل بأحد الخلفاء الأربعة أو العشرة أو البدريين.

اقول: بعد ما تقدم من سيرة السلف الصالح من الصحابة وما سطرة العلماء في كتبهم من الجواز يكذبون ويقولون لا خلاف!!

وقال: والعمل على وفق ما فهموه هو المنجي كما فضل في"السلف والسلفية، من هذا الكتاب، ومن ابتغى نهجا جديدا فهو الخَلَفي، وليس له حظ منهم.

إذا تقرر هذا، فالتوسل بالذوات ونحو ذلك ممنوع لأوجه:

الأول: أنه بدعة لم تكن معروفة عند الصحابة والتابعين، وكل بدعة ضلالة، وليس على الله أكرم من الدعاء، وفي الحديث:[**الدعاء هو العبادة**] أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما بإسناد صحيح عن النعمان بن بشير.

فإذا كان عبادة بل هو العبادة فإحداث أمر في العبادة مردود باتفاق العلماء.

ويرد عليه: مما لا شك فيه ان لفظ الدعاء في اللغة العربية هو النداء وقد يستعمل في العبادة، الا انه لا يمكن ان نعتبر الدعاء والعبادة لفظين مترادفين في المعنى، فلا تقول: ان كل دعاء عبادة وذلك للامور التالية:

اولا: لقد استعمل القران المجيد لفظ الدعاء في مواضع عديدة ولا يمكن القول بان العبادة، ومن هذه المواضع قوله تعالى في سورة نوح:«**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَاراً**»[1] فهل يصح ان يقال ان النبي نوح عليه السلام قصد من كلامه هذا انه عبد قومه ليلاً ونهاراً[2].

ثانياً: نعم قد ورد هذا الحديث في كتب الامامية ايضا وبسند صحيح عن علي بن إبراهيم، عن ابيه، عن حماد بن عيسى، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: ادع ولا تقل: قد فرغ من الامر، فإن الدعاء هو العبادة، إن الله عزوجل يقول:«**إِنَّ الَّذِينَ**

---

١. *نوح، الآية ٥.*

٢. *أُنظر: الوهابية في الميزان، ص٢٩٧.*

يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ»[1] وقال: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»[2].

ولكن الدعاء هنا بمعنى السؤال كما هو الظاهر خصوصاً مع أقترانه بأستجب لكم فهو دليل على أن المراد بالعبادة في الآية المذكورة الدعاء، عبره بها لأنه من أعظم أبوابها وهذا أولى مما قاله بعض المفسرين من أن المراد بالدعاء هنا العبادة وبالاستجابة الاثابة حيث قال: المعنى اعبدوني اثب لكم، إذ فيه حمل اللفظ على خلاف ظاهره في الموضعين[3].

ثم قال صاحب الكتاب: الثاني: أن قول القائل: أتوسل بأبي بكر وعمر... خطأ محض، جره إليه سقم فهمه، وكثافة ذهنه، واعتقاده أن كل شيء توسل به يكون وسيلة، وهذا غلط.

فمن قال أتوسل بأبي بكر مثلاً فقد جمع بين ذاتين لا وسيلة ولا طريق توصل وتجمع أحدهما بالآخر، فكأنما هذا القائل قد لفظ لفظاً لا معنى له، بمنزلة من سرد الأحرف الهجائية، إذ لا اتصال بين ذات المتوسَّل والمتوسَّل به حتى يجمع بينهما.

فلا بد من جامع يتوسل به، وهو حب الصحابة مثلا، وهو من عمل المتوسل، فإذا قال: أتوسل إليك رب بحبي لأبي بكر، أو بحبي لعمر، أو بحبي لصحابة نبيك كان هذا حسناً مشروعاً.

وكذا إن قال: أتوسل إليك بتوقيري وتعزيري وحبي واتباعي لنبيك نبي الرحمة كان هذا من الوسائل النافعة. فلازمٌ ذكر الإيمان أو العمل الصالح الذي يصل بين ذاتين لا يجمع بينهما إلا بجامع[4].

انظر إلى هذا المدلس بعد كل ما نقلنا من كلام الجمهور من علمائهم تجده ينكر

١. *غافر*، آلاية ٦٠.
٢. *الكافي*، ج٢، ص٦٤١.
٣. *شرح اصول الكافي (المازندراني)*، ج١٠، ص١٦١.
٤. هذه مفاهيمنا، ص١٣-١٤.

ويقول بان هذه المسألة لم يقل بها احد، ولا عجب فالرجل سلك مسلك الألباني الذي يقول عنه الحافظ ابن الصديق المغربي: تميز في التدليس والخيانة في النقل، والتحريف في كلام العلماء، جرأته على مخالفة الإجماع، وعلى دعوى النسخ بدون دليل، وهذا يرجع إلى جهله بعلم الأصول، وقواعد الاستنباط، ويدعى أنه يحارب البدع مثل التوسل بالنبيﷺ، لكنه يرتكب أقبح البدع بتحريم ما أحل الله، وشتم مخالفيه بأقذر الشتائم خصوصا الإمامية والصوفية و الأشعرية، وحاله في هذا كحال ابن تيمية، تطاول على الناس فأكفر طائفة من العلماء، وبدع طائفة أخرى، ثم اعتنق هو بدعتين لا يوجد أقبح منهما:

إحداهما: قوله بقدم العالم، وهي بدعة كفرية والعياذ بالله تعالى.

والأخرى: انحرافه عن عليعليه السلام، ولذلك وسمه علماء عصره بالنفاق، لقول النبيﷺ لعلي" لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق" وهذه عقوبة من الله لابن تيمية الذي يسميه الألباني شيخ الإسلام، ولا أدري كيف يعطى هذا اللقب وهو يعتقد عقيدة تناقض الإسلام[1].

(٦) روي بالإسناد الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن النبيﷺ قال: حياتي خير لكم تحدّثون ويحدث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم[2].

قال السقاف: وحديث *(حياتي خير لكم....)* رواه البزار في مسنده كما في كشف الأستار عن زوائد البزار *(١/٣٩٧)* بإسناد رجاله رجال الصحيح، كما قال الحافظ نور الدين الهيثمي في المجمع *(٩/٢٤)*،وقال الحافظ السيوطي في الخصائص الكبرى *(٢/٢٨١)*

[1]. إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبيﷺ،ص٢٢.

[2]. مجمع الزوائد، الهيثمي،ج٩،ص٢٤. قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (ج٩، ص٢٤) رجاله رجال الصحيح.

سنده صحيح، وقال الحافظان العراقيان، الزين وابنه ولي الدين، في طرح التثريب(٣/٢٩٧): إسناد جيد، وطرح التثريب من آخر مؤلفات الحافظ الزين العراقي.

وروى الحديث ابن سعد بإسناد حسن مرسل كما في فيض القدير(٣/٤٠١) و صنف في هذا الحديث مولانا محدث العصر سيدي عبد الله بن الصديق الغماري جزءا حديثيا خاصا سماه (*نهاية الآمال في صحة وشرح حديث عرض الأعمال*) قرظه له شقيقه الحافظ السيد أحمد بن الصديق الغماري الحسني. فمما قدمناه بان أن الذين صححوا الحديث من أهل الحديث:

(١) الحافظ النووي .

(٢) الحافظ ابن التين .

(٣) الحافظ القرطبي .

(٤) الحافظ القاضي عياض.

(٥) الحافظ ابن حجر العسقلاني كما نقل ذلك عمن تقدم ذكرهم في الجمع بينه وبين حديث الشفاعة كما في الفتح (١١/٣٨٥).

(٦) الحافظ زين الدين العراقي إمام زمانه .

(٧) الحافظ ولي الدين بن زين الدين العراقي أبو زرعة .

(٨) الإمام الحافظ السيوطي .

(٩) الحافظ الهيثمي كما في مجمع الزوائد .

(١٠) المحدث المناوي في فيض القدير .

(١١) الحافظ المحدث السيد أحمد الغماري.

(١٢) المحقق سيدي عبد الله بن الصديق .

وهؤلاء الأئمة النقاد بلا شك، ولا ريب مقدم تصحيحهم عند كل عاقل كما نظن على تضعيف الألباني له في سلسلته الضعيفة (٢/٤٠٤). ولا أشك أن الألباني ضعف

الحديث لا لضعف سنده، وإنما لمخالفته لمشربه فقط[1].

وفي هذا الحديث دليل على التوسل بهﷺ بعد رحيله إلى جوار ربّه و إلا ما معنى قولهﷺ: *(ووفاتي خير لكم تعرض علي أعمالكم)* فهذه المنزلة الرفيعة التي خصه الله جل ثناؤه بها خاتم رسلهﷺ لهي خير دليل على أن التوسل بهﷺ جائز بل وبكل من كان له منزلة عند الله سبحانه.

ولكن هذا الكاتب يأبى إلا الإنكار والتدليس فيقول: عودٌ إلى استدلاله[2] الفاسد بقول المكروب بعد موت النبي:[يا محمد إني أتوجه بك إلى ربي] وأي دليل في هذا بعد معرفة بطلان الحديث ونكارته؟! أفيحتج بالمنكرات والأباطيل؟! إنه لعجب عجيب وأمر غريب واستدلال مريب، فنتنزل معهم في المناظرة بالكلام على معنى هذا اللفظ فأقول:

أولاً: أيكون قولك وقول المسلمين في "التشهد": *(السلام عليك أيها النبي...)* نداء للنبي بعد مماته؟ أينادي المسلمون النبي في كل صلاة، أم أن لفظ النداء هنا لاستحضار منزلة الرسول؛ ليكون أمكن في القلب لما يجب في حقه من تعزيره وتوقيره ونصرته؟ فما استدل واحد من العلماء المهتدين بالتشهد على دعوى جواز مناداة النبي بعد موته، وهذا إجماع لا خلاف فيه.

وهذا الأثر – مع نكارته الشديدة – من هذا الباب إنما يكون لاستحضار ما قلنا في لفظ المصلي في التشهد، وهو التفات، والالتفات له مقتضيات معلومة في فنون المعاني والبيان، وأقول هذا تنزلا في المجادلة، وإلا فما ينبغي ابتداءً، والمناسب هنا ما ذكرنا آنفاً.

ثانياً: غاية ما في هذا الأثر المنكر الضعيف أنه توجه بالنبي (في الدعاء، فأين هذا من دعاء الميت؟! فإن التوجه بالمخلوقات سؤال به لا سؤال منه، وكل أحد يفرق بين

---

١. *الإغاثة*، ص١٢ – ١٣.

٢. *أي صاحب كتاب مفاهيم يجب أن تصحح.*

سؤال الشخص وبين السؤال به، فإنه في السؤال به قد أخلص الدعاء لله، ولكن توجه إلى الله بذاته، وأما في سؤاله نفسه ما لا يقدر عليه إلا الله، فيكون قد جعله شريك الله في عبادة الدعاء، فليس في حديث الأعمى وحديث ابن حنيف هذا إلا إخلاص الدعاء لله كما هو صريح فيه، إلا قوله يا محمد إني أتوجه بك، وهذا ليس فيه المخاطبة للميت فيما لا يقدر عليه، إنما فيه مخاطبته مستحضراً له في ذهنه كما يقول المصلي: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته كما أوضحته في الوجه الأول.

ثالثاً: أيكون هذا الدعاء الذي تفرج به الكروب، وتزول به الشدائد المهلكات، وتحصل به المنجيات خفياً على الأمة، فلم يستعملوه حين أصابتهم الشدة والضيق؟! قحط المسلمون في زمن عمر فتوجهوا بالعباس أي- بدعائه- والرسول (ميت عندهم، وأصاب المسلمين فتن في زمن عثمان وعلي، وبعده محن وأمور لا يعلم شدتها إلا الله فلِمَ لَمْ يستعملوه؟! أين زعمكم يا أرباب الحجاج! وأصحاب الفهوم؟![1]

وللرد على هذا المدعي والمنكر لهذه السنة التي اتفق عليها الصحابة الاجلاء والتابعين لهم بإحسان وسار عليها السلف ثم الخلف نقول:

اولا: من قال ان السلام على النبيﷺ في الصلاة او في غيرها هو استحضار لمنزلة النبيﷺ فقط، بل السلام عليه يحمل في طياته استحضار لكل مقامات النبيﷺ ومن هذه المقامات مقام الشهادة الذي كرر في القران الكريم اكثر من ثلاث مرات والشهادة كما هو متفق عليه لا تصح الا من الحاضر الذي يرى الفعل والفاعل قال تعالى مخاطبا للنبيﷺ: «**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَـؤُلاء شَهِيداً**»[2].

والعجيب ان هؤلاء ينكرون الحياة البرزخية للنبي الاكرمﷺ، ويعتقدون ان وفاته

١. هذه مفاهيمنا،ص٣٤-٣٥.

٢. النساء، آلايه٤١.

هي في حدّ موت الكفّار، مع ان القران ذكر أنَّ للشهداء حياة خالدة، فهل مقام نبي الاسلام اقل من مقام الشهداء؟ مع كل هذا السلام الذي نرسله له في الصلاة، فاذا لم ندرك أن التوسل بعد وفاته هو توسل بالخالدين فكل هذا السلام لا معنى له والملتجى الى الله من هذا التعصب الاعمى والصم الذي يؤدي بالانسان الى المجهول[1].

ثانياً: مَنْ قال أنَّ التوسل هو السؤال من الميت حتى يكون شرك، انما التوسل هو أن يقدِّم العبدُ إلى ربّه شيئاً، ليكون وسيلةً إلى الله تعالى لأن يتقبّل دعاءه ويجيبه إلى ما دعا، وينالَ مطلوبه، وهذا الشيء كلما كان محبوب من الله وذو مقام رفيع كان وسيلة افضل ولا يوجد من هو ارفع مقام من النبيﷺ واهل بيته الاطهارعليهم السلام.

ولكن الاشتباة الذي وقع فيه الوهابيون هو تصورهم أنّ مفهوم التوسل بأولياء الله هو أنهم يكشفون الضر ويحلّون المشاكل، وتصوروا أنَّ قضاءهم للحاجات ودفعهم للكربات يتحقق منهم على نحو الاستقلال، مع أنّ ما نقصده من التوسل ليس هذا المعنى[2].

ثالثاً: ومَنْ قال أنَّ المسلمين لم يتوسلوا بالنبيﷺ عندما تصيبهم مصيبة والقران يشهد على ان الذي يأتي للنبي مذبنا يغفر له واي مصيبة اشد من الذنوب قال تعالى: «**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً**»[3].

وبعد كل ما ذكر من الادلة الساطعة من كتب الامامية والجمهور على سيرة الصحابة والتابعين وتوسلهم بالنبيﷺ نجد هؤلاء القوم يحرفون الكلم عن مواضعه حسبما يوافق مفاهيمهم ثمَّ يقولون هذه مفاهيمنا غير مكترثين بتغيير السنة واظهار

١. *أُنظر: الشيعة شبهات وردود، ص١٩٤.*
٢. *أُنظر: المصدر السابق، ص١٨٤.*
٣. النساء، آلاية٦٤.

البدعة واتفاق الخيرة من المسلمين وهاهم علماء الجمهور ينقولون رواية التوسل عندما يفسرون الاية[1]:«**وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُواْ أَنفُسَهُمْ جَآؤُوكَ فَاسْتَغْفَرُواْ اللّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُواْ اللّهَ تَوَّاباً رَّحِيماً**»[2] واليك ما نقله ابن حجر المالكي في الصواعق عن الامام الشافعي وهو من كبار علماء الجمهور، انه كان يتوسل باهل البيت عليهم السلام وينقل عنه الشعر المعروف:

آل النبي ذريعـــتي وهـــم إليه وسيلتي
أرجو بهم أعطى غداً بيدي اليمين صحيفتي

فاي مفاهيم هذه التي يتحدّثون عنها ويفتخرون بها؟ واي عقول تستوعب ما يفسرون؟ الى الله المشتكى وعليه المعول وهو حسبي ونعم الوكيل.

١. *الشرح الكبير*، ج٣، ص٤٩٤؛ *وتفسير ابن كثير*، ج١، ص٥٣٢؛ *وتفسير الثعلبي*، ج٣، ص٣٣٩؛ *والدر المنثور*، ج١، ص٢٣٨؛ *دفع الشبه عن الرسول*، ص١٤٠–١٤١؛ *وسبل الهدى والرشاد*، ج١٢، ص٣٨٠؛ *وتفسير البحر المحيط*، ج٣، ص٢٩٦.
٢. *النساء*، *آلاية* ٦٤.

فهرس المصادر والمنابع

١. *إرغام المبتدع الغبي بجواز التوسل بالنبي* الحافظ ابن الصديق المغربي تحقيق حسن بن علي السقاف الطبعة الثانية١٩٩٢م دار الامام النووي عمان الاردن.

٢. *الإغاثة بأدلة الاستغاثة* حسن بن علي السقاف الطبعة الاولى دار الامام النووي عمان الاردن.

٣. *أمالي محمد بن الحسن الطوسي* تحقيق فسم الدراسات الاسلامية في مؤسسة البعثة الطبعة الاولى دار الثقافة قم.

٤. *الأمالي* محمد بن علي بن الحسين بن بابوية الصدوق الطبعة الاولى مؤسسة البعثة قم المقدسة.

٥. *بحار الأنوار* محمد باقر بن محمد تقي المجلسي الطبعة الثانية مؤسسة الوفاء بيروت .

٦. *البداية والنهاية* الحافظ أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي الوفاة ٧٧٤هـ ج٩ الطبعة الاولى دار إحياء التراث العربي بيروت.

٧. *تاريخ الاسلام* شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي تحقيق عمر عبد السلام تدمري الطبعة الاولى دار الكتاب العربي.

٨. *تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي* محمد بن عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري المكتبة السلفية بالمدينة المنورة طبع القاهرة، ست مجلدات من القطع الكبير الترغيب.

٩. *تفسير ابن كثير* إسماعيل بن كثير القرشي الطبعة الثانية دار المعرفة بيروت.

١٠. *تفسير البحر المحيط* أبي حيان الأندلسي الطبعة الاولى دار الفكر١٤٠٣هـ.

١١. *تفسير الثعالبي*(الجواهر الحسان في تفسير الميزان) عبد الرحمن بن محمد الثعالبي المالكي الطبعة الاولى دار إحياء التراث العربي بيروت. تحقيق علي محمد معوض و الدكتور عبد الفتاح أبو سنة.

١٢. *تقريب التهذيب* ابن حجر العسقلاني طبعة محمد عوَّامة دار الرشيد بحلب الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.

١٣. *تهذيب الكمال* يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي تحقيق الدكتور بشار عوده معروف الطبعة الاولى مؤسسة الرسالة بيروت.

١٤. *التوسل* العلامة جعفر السبحاني الطبعة الاولى مركز الابحاث العقائدية قم.

١٥. *الجامع الصغير* جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي الطبعة الاولى دار الفكر بيروت .
١٦. *حاشية رد المحتار* محمد أمين بن عمر ابن عابدين الطبعة الاولى دار الفكر.
١٧. *الدر المنثور* جلال الدين السيوطي الطبعة الاولى دار المعرفة بيروت.
١٨. *دفع الشبه عن الرسول* الامام الكبير أبو بكر بن محمد الحصني الدمشقي الطبعة الثانية١٤١٨هـ دار احياء التراث العربي القاهرة.
١٩. *دلائل النبوة* اسماعيل بن محمد الاصبهاني الملقب بـ(قوام السنة) الطبعة الاولى دار العاصمة للطباعة والنشر.
٢٠. *سبل الهدى والرشاد* محمد بن يوسف الصالحي الشامي الطبعة الاولى دار الكتب العلمية بيروت.
٢١. *سنن الترمذي(الجامع الصحيح)* محمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي بيروت.
٢٢. *السنن الكبرى* احمد بن الحسين البهيقي الطبعة الاولى دار الفكر بيروت .
٢٣. *شرح اصول الكافي* المولى محمد صالح المازندراني تحقيق ابو الحسن الشعراني الطبعة الاولى دار احياء التراث العربي.
٢٤. *الشرح الكبير* عبد الرحمن بن قدامةً الطبعة الثانية دار الكتاب العربي بيروت.
٢٥. *الشيعة شبهات وردود* (الشيخ مكام الشيرازي):١٩٤.
٢٦. *الصحاح* إسماعيل بن حماد الجوهري الطبعة الرابعة دار الملايين بيروت تحقيق احمد عبد الغفور عطار.
٢٧. *صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان* محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي تحقيق شعيب الارنؤوط الطبعة الثانية ١٤١٤هـ مؤسسة الرسالة بيروت.
٢٨. *صحيح ابن خزيمة* محمد بن إسحاق بن خزيمة أبو بكر السلمي النيسابوري تحقيق الدكتور محمد مصطفى الأعظمي المكتب الإسلامي- بيروت،١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م.
٢٩. *صحيح البخاري* محمد بن إسماعيل البخاري الطبعة الخامسة دار الفكر دمشق.
٣٠. *صحيح مسلم* مسلم بن الحجاج النيسابوري الطبعة الاولى دار الفكرأبيروت.

٣١. *لواقح الانوار القدسية في بيان العهود المحمدية* سيدي عبد والوهاب الشعراني الطبعة الثانية شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

٣٢. *فتح الباري*، احمد بن علي بن حجر العسقلاني الطبعة الثانية مطبعة دار المعرفة للطباعة والنشر.

٣٣. *القول المسدد في الذب عن المسند للإمام أحمد* أحمد بن علي العسقلاني أبو الفضل تحقيق مكتبة ابن تيمية الطبعة الأولى،١٤٠١ مكتبة ابن تيمية- القاهرة.

٣٤. *الكاشف في معرفة من له رواية في كتب الستة* حمد بن أحمد أبو عبدالله الذهبي الدمشقي دار القبلة للثقافة الاسلامية مؤسسة علوم القرآن جدة حقوق الطبع محفوظة الطبعة الاولى ١٤١٣ –١٩٩٢.

٣٥. *الكافي* محمد بن يعقوب الكليني الطبعة الثالثة دار الكتب الإسلامية قم المقدسة.

٣٦. *كنز العمال* علي بن حسام المتقي الهندي الطبعة الاولى مؤسسة الرسالة بيروت.

٣٧. *مجمع الزوائد* علي بن أبي بكر الهيثمي الطبعة الاولى دار الكتب العلمية بيروت.

٣٨. *المزار الشهيد الأول* محمد بن مكي العاملي. الطبعة الاولى١٤١٠هـ تحقيق ونشر مدرسة الامام المهدي عليه السلام قم المقدسة

٣٩. *المستدرك على الصحيحين* محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري الطبعة الاولى دار الكتب العلمية بيروت.

٤٠. *مسند احمد* الإمام احمد بن حنبل الطبعة الثالثة دار صادر بيروت.

٤١. *مفاهيم يجب أن تصحح* الدكتور محمد علوي المالكي الحسني الطبعة الاولى دار جوامع الكلم للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة.

٤٢. *مواهب الجليل* محمد بن محمد الحطاب الرعيني الطبعة الاولى دار الكتب العلمية بيروت. تحقيق الشيخ زكريا عميرات.

٤٣. *الموطأ الإمام مالك بن انس* الطبعة الاولى دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤٤. *ميزان الاعتدال* محمد بن احمد الذهبي تحقيق: علي محمد البجاوي دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت لبنان.

٤٥. *الميزان في تفسير القران* العلامة محمد حسين الطباطبائي الطبعة الثانية اسماعيليان قم.

٤٦. *منتق الإخبار مع نيل الأوطار* محمد بن علي الشوكاني دار الكتب العلمية بيروت.

٤٧. *هذه مفاهيمنا* صالح بن عبد العزيز بن ال الشيخ الطبعة الاولى ١٤٢٩هـ -٢٠٠٨ مكتبة الهدي المحمدي

٤٨. *وسائل الشيعة* محمد بن الحسن الحر العاملي الطبعة الاولى مؤسسة ال البيت عليهم السلام قم تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث.

٤٩. *الوهابية في الميزان* العلامة جعفر السبحاني الطبعة الثالثة مؤسسة الامام الصادق عليه السلام أقم المقدسة.